كلية الآداب

قسم التاريخ

شعبة تاريخ العصور الوسطى

# الإنسان والحيوان فى مصر إبان العصر البيزنطى (٢٨٤ – ٦٤٢م)

## دراسة تطبيقية على دواب النقل

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فى تاريخ العصور الوسطى

مقدمة من الباحث

**أسامة فايز استقلال أحمد**

المدرس المساعد بالقسم

## إشراف

الأستاذ الدكتور

**طارق منصور**

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور

**عبد العزيز رمضان**

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب جامعة عين شمس

القاهرة

٢٠١٨

# آيات من الذكر الحكيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ • وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ • وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ • وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

[فاطر: ٢٨]

[النحل: ٥ – ٨]

[النحل: ٦٦]

# الإهداء

إلى زوجتى « فاطمة » التى جعل الله لى منها أنساً بعد وحشة ونعمة بعد بؤس

# الفهرس


| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ط – ف |
| الفصل الأول: دواب النقل | ١ – ١٠٥ |
| ▪ الحمير | ٤ |
| ▪ الإبل | ٥٠ |
| ▪ البغال | ٧١ |
| ▪ الخيل | ٨٠ |
| ▪ الثيران | ٩٤ |
| الفصل الثانى: عُدَّة دواب النقل وبيطرتها | ١٠٧ – ١٣٩ |
| ▪ العربة | ١١٠ |
| ▪ أدوات التسخير | ١٢٠ |
| ▪ البيطرة | ١٢٧ |
| الفصل الثالث: التنظيمات الإدارية الخاصة بدواب النقل | ١٤١ – ١٨٣ |
| ▪ الإحصاء | ١٤٦ |
| ▪ الضرائب | ١٥٢ |
| ▪ الاستدعاء | ١٦٤ |

| | |
|---|---|
| **الفصل الرابع: تشغيل دواب النقل** | **١٨٥ – ٢٩٢** |
| ▪ **البريد العام** | **١٨٨** |
| ▪ **شحنة الأثُّونا** | **٢٠٥** |
| ▪ **مجالات تشغيل متنوعة** | **٢٤٠** |
| **الخاتمة** | **٢٩٣ – ٢٩٨** |
| **خريطة مصر** | **٢٩٩** |
| **قائمة المصادر والمراجع** | **٣٠١ – ٣٦٦** |

# المقدمة

"Exuberat Aegyptus etiam pecudibus multis, inter quas terrestres sunt et aquatiles, aliaeque humi et in humoribus vivunt, unde ἀμφίβιοι nominantur" (Amm. Marc. XXII. 15. 14).

تلكم بحَرْفيتها كانت عبارات مؤرخ القرن الرابع الميلادى الشهير أمّيانوس ماركيللينوس Ammianus Marcellinus، وهى عبارات تقابل فى العربية ما نصه: "ومصر غنية بالحيوانات العديدة التى من بينها الحيوانات البرية والحيوانات البحرية، ومن بينها حيوانات أخرى تعيش فى البر والبحر وتُسمى لذلك بالبرمائيات".

أورد أمّيانوس العبارات السابقة فى مستهل وصفه الدقيق لأجناس مختلفة من الحيوان، شاهدها أثناء وجوده فى مصر فى الفترة التى وقعت بين اعتزاله الجندية والمناصب العامة وبين استقراره فى روما بعد ذلك، أى فيما بين عامى ٣٧٨ و٣٨٣م. وهو الوصف الذى حرص أمّيانوس على تسجيله بعناية، مع غيره من مشاهداته العديدة بأرجاء البلاد المصرية، فى مصنفه التاريخى الذائع الصيت الذى وضعه باللغة اللاتينية وسماه «جلائل الأعمال Res Gestae» (انظر: وهيب كامل، أميانوس ماركيللينوس فى مصر: مصر فى القرن الرابع الميلادى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص٢٣ وما بعدها).

وبعدما اطَّلع الباحث على وصف أمّيانوس لأجناس الحيوان التى شاهدها فى مصر، بكل ما يتحلى به وصفه لها من دقة وجاذبية وحلاوة، تفتق ذهن الباحث من غير تردد عن فكرة اختيار موضوع لبحث الدكتوراه، مجاله العلاقة بين الإنسان والحيوان فى مصر إبان الفترة البيزنطية من تاريخها، وهى الفترة التى تمتد – عند أغلب المؤرخين – من عام ٢٨٤م، وهو العام الذى اعتلى فيه الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (٢٨٤ – ٣٠٥م) عرش الإمبراطورية الرومانية، بما يمثله اعتلاء دقلديانوس العرش من بداية مقترحة للتاريخ البيزنطى بصفة عامة، حتى عام ٦٤٢م، وهو العام الذى اكتملت فيه السيطرة العربية على مصر بموجب الفتح العربى الإسلامى، بعد انتزاع العرب تلك السيطرة من يد البيزنطيين كما هو معروف.

ولعل من الجدير هنا الإفادة بأن الباحث كان قد سبق له الحصول على درجة الماجستير فى تاريخ العصور الوسطى، ببحث فى موضوع آخر من موضوعات تاريخ مصر إبان الفترة البيزنطية ذاتها (٢٨٤ – ٦٤٢م)، ومن ثم كانت سعادة الباحث مضاعفة، لكونه سيستمر فى

تسليط الضوء على حقبة من تاريخ بلدنا الحبيب، لم تحظ بعد بالقدر الكاف من اهتمام الباحثين المتخصصين فى تاريخ العصور الوسطى.

بيد أنه بعد استغراق بعض الوقت فى جمع المادة العلمية الخادمة لموضوع بحث الدكتوراه، تبين للباحث ضرورة حصر موضوع البحث فى فصيل واحد فقط من فصائل الحيوان العديدة التى تعامل معها الإنسان فى مصر خلال الفترة محل الدراسة، وذلك رغبةً فى الابتعاد عن التشتيت الذى قد تحدثه محاولة التطرق لعلاقة الإنسان بشتى أجناس الحيوان الموجودة بمصر حينذاك. ووقتها استقر عزم الباحث، بالتنسيق مع أستاذيه المشرفين على البحث، على تناول العلاقة بين الإنسان والحيوان فى مصر إبان العصر البيزنطى، من خلال دراسة تطبيقية تختص بأنموذج واحد فقط لفصائل الحيوان، وهو "دواب النقل"، نظراً لما كان يمثله هذا الفصيل على وجه الخصوص من أهمية كبيرة للاقتصاد المصرى، بموجب الدور الذى لعبته تلك الدواب فى خدمة مختلف مجالات النقل البرى.

ومن ناحية أخرى واجهت الباحث أكثر من صعوبة أثناء العمل فى هذه الدراسة؛ حيث تمثلت أولى الصعوبات فى خلو المكتبة العربية من أى دراسة متخصصة فى الحيوان فى الفترة البيزنطية من تاريخ مصر، بل وحتى الدراسات الأجنبية العديدة ذات الصلة بالحيوان، وإن كانت قد تنوعت لتغطية بعض جوانب الموضوع محل الدراسة، فإنه لم تنفرد أى منها أيضاً برصد جامع واف لأحوال دواب النقل فى مصر فى العصر البيزنطى. ولقد كافح الباحث هذه الصعوبة بجمع مادته العلمية المتصلة بموضوع الدراسة من كل ما وجد فيه ضالته من وثائق تباينت نوعياً لتشمل أوراق البردى وقطع الأوستراكا والقطع الخشبية والشرائح المعدنية والنقوش الأثرية وصحائف البرشمان. على أن هذه الوثائق قد تراوحت زمنياً من حيث تواريخها إلى حد كبير، لتطوف بين العصور الفرعونية واليونانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية، كما تأرجحت مكانياً لتغطى عدداً معتبراً من المقاطعات الكبرى والأقاليم والمدن والمراكز والمقاطعات الفرعية والقرى. ناهيك عن تنوع هذه الوثائق من حيث محتواها بين مراسيم ومكاتبات رسمية وعقود وإشهارات وإيصالات والتماسات وإقرارات وسجلات حسابية ومراسلات خاصة وغير ذلك الكثير.

وبلا ريب قد مكنت هذه المادة الوثائقية الغزيرة جامعها من بناء مختلف نواحى دراسته، مستعيناً بالمصادر الأدبية التى تنوعت بين كتابات شهيرة لمصنِّفين أعلام فى التاريخ الطبيعى

وعلوم الفلاحة وتربية الحيوان والطب البيطرى، فضلاً عن شىء من كتابات أخرى لمصنِّفين بارزين فى الفلسفة والجغرافيا والتاريخ العام والكنسى والرهبانى. وبخلاف ذلك استعان الباحث أيضاً بعدد هائل من المراجع الأجنبية والعربية والمعربة التى تنوعت بين بحوث وثائقية وآثارية، وأطروحات أكاديمية ومقالات متخصصة، وكتب ودراسات تاريخية، وموسوعات ومعاجم.

أما العقبة الثانية التى واجهت الباحث أثناء إعداد هذه الدراسة، فقد تمثلت فى صعوبة فصل الفترة محل الدراسة عن الفترات السابقة عليها، ذلك أن كثيراً من ملامح العصر البيزنطى قد تشكلت جذورها فى مصر على مدار العصور الفرعونية والبطلمية والرومانية. ولقد تغلب الباحث على هذه الصعوبة قدر الإمكان بإفراد المعلومات المتصلة بالفترة محل الدراسة فى متن البحث، فى حين كانت الحواشى حقلاً فسيحاً لإفراد المعلومات المتصلة بالفترات السالفة على فترة الدراسة، باستثناء المواضع التى تحتم فيها معالجة جذور الفكرة محل النقاش فى متن البحث، بالاعتماد على مادة وثائقية أو أدبية تنتمى لفترة سابقة على فترة الدراسة، نظراً لضرورة اقتضاها السياق المطروح.

ولعل آخر الصعوبات التى واجهت الباحث كانت تكمن فى أن أغلب المادة العلمية التى تم الاعتماد عليها فى نسج الخيوط الرئيسية لهذه الدراسة قد أتت بلغات غير العربية – لغة الباحث الأم –؛ حيث تنوعت بين لغات قديمة كاليونانية والقبطية واللاتينية، ولغات حديثة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، ولذا لم يجد الباحث بداً من تنمية معارفه اللغوية فى كافة هذه اللغات بالدراسة والجهد والمثابرة، الأمر الذى حَمَّل الباحث عبئاً يضاف إلى الأعباء الأخرى التى تطلبها العمل فى هذه الدراسة.

ومن أجل معالجة إشكاليات الدراسة، قام الباحث بتقسيم بحثه إلى أربعة فصول، تقع بين مقدمة وخاتمة، وتذيلها قائمة بجميع المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها الدراسة. على أن الباحث قد حرص على أن يبدأ كل فصل باستهلال غايته تمهيد السبيل لمعالجة المحاور التى يتضمنها الفصل، كما حرص الباحث على أن يختتم كل فصل بفقرة ختامية تلخص أهم النتائج التى بلغها الفصل.

ولقد وضع الباحث الفصل الأول من الدراسة تحت عنوان "**دواب النقل**"، ليفرده للحديث عن الخمسة أنواع من الدواب التى استُخدمت كوسائل للنقل البرى فى مصر فى العصر البيزنطى؛ وهى: الحمير والإبل والبغال والخيل والثيران، بحيث يفى الحديث عنها فى هذا الفصل بالتعرف على بداية وتطور وجودها واستعمالها فى مصر، وأهم الأغراض التى استُخدمت تلك الدواب فى تلبيتها، فضلاً عما أفادت به وثائق متنوعة شاهدة عليها فى الفترة محل الدراسة من معلومات عن أسعارها أو تداولها بين أفراد المجتمع أو طاقة حملها أو العليق اللازم لتغذيتها أو أماكن إيداعها أو غير ذلك من الجوانب الأخرى المتعلقة بها. على أنه قد تم ترتيب الدواب داخل هذا الفصل من حيث مدى أهمية دورها فى خدمة مجالات النقل البرى، بحيث رُتبت ترتيباً تنازلياً من الأهم فالأقل أهمية.

أما الفصل الثانى من الدراسة فقد جاء تحت عنوان "**عُدَّة دواب النقل وبيطرتها**"، ليعرض فيه الباحث لأهم الأدوات والمعدات التى وفرها الإنسان فى مصر لدواب النقل خلال العصر البيزنطى بهدف زيادة سعة النقل وسرعته من ناحية، وتيسير التحكم فى دابة النقل المستعملة من ناحية أخرى. كما اهتم الباحث فى هذا الفصل أيضاً بمناقشة أهم الوسائل العلاجية التى عول عليها أفراد المجتمع المصرى فى مداواة دواب النقل من الأمراض والإصابات.

وجاء الفصل الثالث من الدراسة تحت عنوان "**التنظيمات الإدارية الخاصة بدواب النقل**"، ليتناول فيه الباحث أهم التنظيمات التى حرصت الإدارة البيزنطية الحاكمة على سريانها فيما يخص دواب النقل العامة والخاصة، من أجل تسهيل متابعة شؤونها وتوفير إمدادات دائمة منها لخدمة مختلف القطاعات الحيوية بالبلاد، وضماناً لوفاء مالكى الدواب الخاصة ومستخدميها بالالتزامات الضريبية المفروضة عليهم، وذلك بالإضافة إلى تيسير الحصول على تعزيزات مؤقتة من دواب النقل وقت الحاجة، من خلال استدعائها قسراً من مالكيها لإنجاز مختلف الخدمات العامة وكل ما يطرأ من مهمات نقل حكومية عاجلة.

أما الفصل الرابع والأخير من الدراسة فقد جاء تحت عنوان "**تشغيل دواب النقل**"، ليتطرق فيه الباحث للحديث عن مجالات التشغيل التى استُخدمت فيها دواب النقل خلال الفترة محل الدراسة، بحيث تبين من خلال الفصل مدى حيوية الدور الذى لعبته دواب النقل فى خدمة

عدد من القطاعات المهمة بمصر. ذلك أن دواب النقل قد استُخدمت على نحو منتظم فى توصيل البريد العام ونقل شحنة القمح السنوية (الأنُّونا)، فضلاً عن استخدامها فى مجالات تشغيل أخرى متنوعة لتخدم قطاعى الزراعة والتجارة، والقطاعات العاملة بالمناطق الصحراوية، وكذا قطاع المؤسسات الدينية المسيحية. وبهذا تميزت دواب النقل إلى حد بعيد عن أى فصيل آخر من فصائل الحيوان فى مصر إبان العصر البيزنطى، حيث كانت دواب النقل من غير مبالغة عصباً رئيسياً للاقتصاد المصرى بما قدمته من منافع جمة لأفراد المجتمع وللجهاز الإدارى للولاية على السواء.

هذا وقد اتبع الباحث فى معالجته لموضوع الدراسة المنهج السردى التحليلى المعتمد على عرض النصوص الوثائقية والأدبية وتحليلها بغية الخروج بأفضل تخريجات ونتائج ممكنة، مستفيداً قدر الإمكان من الدراسات الحديثة التى تطرقت إلى بعض جوانب الموضوع محل الدراسة، وعلى رأسها دراسة كولن آدامز Colin Adams التى تحمل عنوان "النقل البرى فى مصر الرومانية: دراسة للاقتصاديات والإدارة فى ولاية رومانية Land Transport in Roman Egypt: A Study of Economics and Administration in a Roman Province"، والتى ركز فيها صاحبها على طرح كافة الجوانب الاقتصادية والإدارية المتعلقة بالنقل البرى فى مصر إبان العصر الرومانى منذ نهايات القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادى، تاركاً بذلك للباحث أرضاً صلبة استطاع الوقوف عليها للمضى قدماً فى الحديث عن دواب النقل ودورها فى خدمة مجالات النقل البرى فى مصر إبان العصر البيزنطى.

وفى النهاية لا يجد الباحث من الكلمات ما يعبر به عن بالغ فخره وامتنانه لتتلمذه فى مرحلة الدكتوراه على يد علم من أعلام تاريخ العصور الوسطى فى العالم العربى، ولا أبالغ إن قلت فى العالم أجمع؛ الأستاذ الدكتور طارق منصور، أستاذ تاريخ العصور الوسطى ووكيل كلية الآداب جامعة عين شمس لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة، الذى أكسب الباحث شرفاً عظيماً بقبوله الإشراف على هذه الدراسة، بل وكان له دور كبير فى توجيه الباحث للعمل فى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى منذ مرحلة الماجستير، بكل ما يتيحه هذا التخصص من تميز وانفراد لكل من يمخر عبابه ويخوض غمار بحثه وينال الدرجات العلمية فيه. ويكن الباحث لسيادته مشاعر العرفان الصادقة، لما بذله من وقت ومجهود فى مراجعة هذه الدراسة وتنقيحها بعناية